

الأصوات وأثرها في المعجم العربي

د . رفعت الفرنواني *

قد لا تبدو المشكلة التي سيثيرها هذا البحث في نظر البعض مشكلة . وقد تبدو كما تصفها الفكرة الشائعة والسائدة ميزة للغة العربية ، لهذا أستسمح القارئ الكريم عذراً أن ينتظر حتى ينتهي من قراءة كل المبررات . .

والمشكلة تتمثل في غزارة المادة التي يقدمها المعجم العربي لقارئه ، ولا يتبغى أن يتبادر إلى الذهن أن الغزارة عيب إذا كانت تمثل ثراء لغوياً حقيقياً فهي في هذه الحالة تمثل وضعاً لغوياً ممتازاً .

لكننا نقصد نوعاً آخر من الغزارة ، لا ينهض على واقع لغوي عاشته اللغة حقيقة وإنما ينهض على نظرة غير منهجية للغة على أنها أمشاج من هنا ومن هناك ، وتحليلات بين لهجات شتى ، أدت إلى جمع هذا الكم الهائل من الكلمات وحشوه حشواً بين دفتي المعجم العربي ، فكانت النتيجة ذلك الثراء الزائف في الثروة اللفظية أو ما يمكن أن نطلق عليه عليه ذلك التضخم غير الصحي لهذه الثروة .

ولهذا التضخم أسباب كثيرة يدخل بعضها في باب الترادف الذي لا يندرج في موضوع البحث وذلك بغض النظر عن موقف اللغويين من هذا الباب (١) .

أما السبب الذي يلعب دوراً حاسماً فهو الاستعمالات الصوتية المختلفة باختلاف اللهجات العربية القديمة للفونيات العربية ، وقد ساعد النظام الكتابي للغة العربية الذي سجلت به المادة اللغوية على زيادة هذا الوضع تعقيداً ، فهي تحتوى على ثمانية وعشرين رمزاً فقط في الوقت الذي تحتوى فيه على ثمانية وعشرين وحدة صوتية رئيسية ، تصل إلى اثنين وأربعين صوتاً في اللهجات القديمة المختلفة .

جاء في الكتاب :

أصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفاً هي : الهزرة والألف والهاء والعين والحاء

والغين والحاء والكاف والقاف والضاد والجيم والشين والياء واللام والراء والنون والطاء والدال والتاء والصاد والزاي والسين والظاء والذال والثاء والفاء والباء والميم والواو .

ثم ذكر أن هذه الحروف التسعة والعشرين تكون خمسة وثلاثين بحروف هي فروع وأصلها من التسعة والعشرين وهي كثيرة يؤخذ بها وتستحسن في قراءة القرآن والأشعار وهي :

النون الخفيفة ، والهمزة التي بين بين والألف التي تمال إمالة شديدة والشين التي كالجيم والصاد التي تكون كالزاي وألف التفخيم يعنى بلغة أهل الحجاز في قولهم الصلاة والزكاة والحياة . .

وتكون اثنين وأربعين حرفاً بحروف غير مستحسنة ولا كثيرة في لغة من ترتضى عربيته ولا تستحسن في قراءة القرآن ولا في الشعر وهي : —

الكاف التي بين الجيم والكاف والجيم التي كالكاف والجيم التي كالشين والصاد الضعيفة والصاد التي كالسين والفاء التي كالتاء والظاء التي كالثاء والباء التي كالفاء .

نحن إذن أمام شين تمثل الصورة الشائعة وأمام شين كالجيم يمكن قبولها كما أننا أمام صاد تمثل الصورة الشائعة وأمام صاد كالزاي تمثل صورة صوتية يمكن قبولها ، وأمام صاد كالسين تمثل صورة غير مستحسنة .

وكذلك نجد أنفسنا أمام كاف تمثل الصورة الشائعة وأمام كاف بين الجيم والكاف تمثل صورة غير مستحسنة .

وكذلك نجد أنفسنا أمام جيم تمثل الصورة الشائعة وأمام جيم أخرى كالكاف وأمام جيم ثلاثة كالشين تمثلان صورتين غير مستحسنتين لهذا القونيم ثم نجد أمامنا طاء تمثل الصورة الشائعة عندهم وأمام طاء كالتاء .

وكذلك نجد طاء تمثل الصورة الشائعة وطاء أخرى كالتاء تمثل صورة غير مستحسنة . ثم نجد أيضاً باء تمثل الصورة الشائعة وباء أخرى كالفاء لا تمثل إلا صورة غير مستحسنة عند القدماء .

ويعنى هذا كله أننا قد نجد بعض الكلمات المحتوية على صوت الجيم مستعملة على وجهين أحدهما بالجيم والآخر بالشين ، ولقد عثرنا بالفعل أثناء تصفح المعجم على أمثلة كثيرة لكلمات تأتي في موضعين مختلفين في القاموس باختلاف النطق المعين لصوت الجيم ، فمره نجدها في مكان هذا الصوت ومرة أخرى نجدها في مكان الشين .

أمثلة :

اللدش : السير . دج دجيجاً : دب في السير .
المجدوه : المشددة الفرع : الرهج الغبار والسحاب بلا ماء ، الرهشوش المنهال
من التراب .

الشاسىء : الجاسىء الغليظ .

الفرحجى فى المشى شبه الفرشحة (يلاحظ لقلب المكائى)
الأجعب : البطين الضعيف العمل والمتجعب الميت ، أشعب : مات ، وهو طماع .
كما أنا قد نجد بعض الكلمات المحتوية على صوت الجيم مستعملة بوجهين أحدهما
بالجيم والآخر بالكاف .

أمثلة :

ريح سيهوج وسيهوك .

مر يرتج ويرتك .

أخذه سج فى بطنه وسك : إذا لان بطنه

الكعبة : الجعبة الخ .

كذلك قد نجد بعض الكلمات المحتوية على صوت الصاد مستعملة بثلاثة وجوه ،
وموجودة فى ثلاثة أماكن بالمعجم أحدها بالصاد والآخر بالزاي (حسب قراءتنا المعاصرة
لهذا الحرف الكتابى وإن كان لنا فى المسألة وجهة نظر) والثالث بالسين ؛ حسب قراءتنا
لذلك الحرف أيضاً ، أو قد نجدها فى مكانين فقط بالمعجم :

الزبر . الصبر .

الزندوق ، الصندوق . الصندوق .

الزقر : الصقر .

قزد : قصد .

الزدد بالكسر : لغة فى الصدق . . . الخ .

سبق . سبق .

سويق . صويق .

أن الأمثلة السابقة التي قادتنا إليها فكرة سيوية عن عدد الأصوات العربية لا ينبغي أن تقصر نظرنا في البحث على تلك الأصوات التي ذكر لها سيوية أكثر من وجهة في الاستعمال ، فالمسألة أعمق من هذا وأشد تعقيداً يتضح هذا إذا وضعنا في اعتبارنا الحقائق التالية :

١ — اختلاف وصفنا للأصوات في جانب منها عن ذلك الوصف الذي قدمه القدماء

٢ — وضع العربية الصوتي كلغه مشتركة مقارناً بلهجاتها القديمة والحديثة على حد سواء .

٣ — وضع العربية الصوتي مقارناً بأخواتها الساميات .

إن هذه الاعتبارات الثلاثة لو وضعت في بؤرة الاهتمام في وقت واحد ستفسر لنا الكثير والكثير جداً من جوانب المشكلة المطروحة وسنحاول القاء الضوء على كل واحد من الاعتبارات الثلاثة السابقة فيما يلي :

١ — بالنسبة للاختلاف بين القدماء وبيننا في وصف بعض الأصوات لن يكون المجال هنا مناسباً ولا كافياً لعرضه بالتفصيل وإنما يعنينا منه نتيجته التي ستكون منطلقنا للنظر في المعجم .

وهذه النتيجة تحدد الأصوات الساكنة التالية موضعاً للخلاف وهي : —

الهمزة والقاف والجيم والضاد والطاء .

ولا ينبغي أن يفهم أن وجهتي النظر القديمة والحديثة تتطابقان تماماً بالنسبة لبقية أصوات العربية وإنما قصدنا إلى الأصوات المذكورة قصداً لأنها تمثل بوضوح ما يهدف إليه هذا البحث وهو النظر في الثروة اللفظية للعربية .

سنناول العلاقة بين الصوتين الآخرين : الضاد والطاء أولاً ثم سنعالج صوت القاف في علاقته بصوتي الجيم والهمزة وغيرهما بشيء من البسط .

يصف سيوية صوت الطاء بأنه : حرف أسناني شديد مجهور مطبق (٢) .
ويقصد القدماء بالحروف الأسنانية الأصوات التي تخرج باعتماد طرف اللسان على أصول الشايات العليا (٣) .

ويقرر سيبويه أنه لولا الأطباق لصارت الطاء دالا . والدال عنده حرف أسنانى شديد مجهور .

ويكاد الخلاف بين سيبويه ومن تابعه من الأقدمين من جهة وبين المحدثين من جهة أخرى ينحصر فى حكمة على الطاء بالجهر ، فهى كما ينطقها مجيدو قراء القرآن الكريم فى مصر وكما ينطقها مجيدو اللغة العربية صوت مهموس يمثل النظير المنفخم للطاء وليس للدال كما يقرر سيبويه . .

ويعنى هذا أن الطاء التى تخيلها فقهاء اللغة القدماء ووصفوها لا تختلف عن الضاد كما نطقها نحن ، أما ضادهم القديمة فتمثل صوتاً غريباً عنا لانعرفه فى الفصحى المعاصرة ونتيجة لهذا كله فلنا أن نتوقع تداخلا واختلاطا لمواقع كل من الطاء والضاد فى بعض الكلمات المحتوية على أيهما ، حيث أن ضاد اليوم هى طاء الأمس ، وطاء اليوم لا وجود لها فى القديم كما أن الضاد القديمة لا وجود لها فى الفصحى المعاصرة .

ويشير ذلك إلى أن تغييرا قد حدث لقائمة الفونيات فى الغصحى ، فأصبحت تحتوى اليوم على ما لم تكن تحتويه قديما .

وتؤكد الإشارات (٤) التى تركها اللغويون القدامى ذلك ، فسيبويه يتكلم عن أصوات غير مستحسنة ولا كثيرة فى قراءة القرآن ولا فى الشعر ممن ترضى عربيته ومنها الطاء التى كالتاء ومعنى هذا أنه كانت هناك طاء ماثلة للطاء ، بحيث لا يبعد المرء عن الجادة إذا استنتج أن هذه الطاء المستهجنة عند القدماء هى الطاء التى نطقها اليوم أو هى صوت قريب منها ، وأن طاءهم الحسنة قد حلت محل ضادهم التى أمحت وصارت (أى طاءهم الحسنة) تمثل الضاد المعاصرة .

ونتيجة لهذا فنحن لا نتفق مع برجشتراسر فى قوله بأن نطق الطاء العتيق قد احمى تماماً (٥) فهذا النطق ما زال موجوداً فى الفصحى المعاصرة وإن كان يمثل فونياً آخر هو فونيم الضاد .

لكننا حين انتقلنا بهذه النتيجة التى تبدو مقبولة علمياً وتاريخياً إلى دائرة المعجم العربى محاولين العثور على طاء سيبويه المستهجنة الشبهة بالطاء وهى بعينها طاؤنا المعاصرة ، وذلك بالبحث عن الكلمات المسجلة مرتين ، مرة بالطاء ومرة بالطاء أو الدال لم نوفق فى العثور على كثير من هذا النوع من الكلمات (١١٩) وليس يعنى هذا تشكيكا فى النتيجة السابقة ،

وإنما وجدنا كلمات يشترك في كل زوج منها صوت الطاء وصوت الثاء / t / ؛ فهي تأتي مرة بالطاء ومرة بالثاء مثل : -

ضبت ج ١ ص ١٧٥ وضبط ج ٢ ص ٣٨٤ .

الرثيث جمعه رثاث : ورثاث الحمقاء أو ضعاف الناس ج ١ ص ١٧٣ .

الرطيط وجمعه رطايط : الأحمق والحمقى ج ٢ ص ٣٧٤ .

البحث القطع ج ١ ص ١٧٩ القط : القطع ج ٢ ص ٣٩٤ (عن العلاقة بين القاف والجيم انظر صوت القاف) .

الهرث بالكسر : الثوب الخلق ج ١ ص ١٨٣ ولم يورد لها فعل

هرط عرضه وفيه طعن ومزقه : في الكلام : سفسف ج ٢ ص ٤٠٧ .

اللث والإلثا والثلثة : الإلحاح والإقامة ودوام المطر ج ١ ص ١٧٩ .

لط بالأمر يلط : لزمه ج ٢ ص ٢١٧ .

وعلى كل حال فنحن لا نستريح تماماً إلى أن هذه الأمثلة يمكن أن تشكل أساساً صالحاً لبحث العلاقة بين الطاء والثاء وأنما قمنا بالبحث عن هذه العلاقة يدفعنا الافتراض القائل بوجود نظير مفخم للغاء / t / في السامية الأصلية وأن هذا الصوت ربما يكون قد تطور في العربية إلى النظير الانفجاري له وهو الطاء ، وهذا أمر طبيعي في تطور الأصوات ما بين الأسانية إلى نظائرها الانفجارية .

فإذا انتقلنا إلى الضاد ونعني بها ذلك الصوت الأساني الانفجاري المجهور المفخم الذي قام يتمثيل فونيمي الطاء قديماً والضاد حديثاً ، وحاولنا أن نتعرف على شكلها القديم كما حدده سيويو ومن تلاه وجدنا أنها تمثل مشكلة كبيرة بالنسبة للباحث في تاريخ تطورها .

فوصف اللغويين الأقدمين للضاد غير واضح ، يتسم بغير قليل من الغموض والتعقيد بحيث يحار المرء في فهم ما يقصدون على وجه الدقة .

وبادى ذى بدء نقرر أن الضاد التي وصفها القدماء تمثل بالنسبة لنا صوتاً مجهولاً من الصعب تصوره وأنها تختلف اختلافاً جوهرياً عن الضاد المعاصرة .

فالضاد المعاصرة كما سبق القول : صوت أسناني انفجاري مجهور مفخم (d) ولا يوجد لها نظير في اللغات السامية المعروفة وذلك باستثناء اللغة الأثيوبية القديمة ، وترجع

هذه الضاد إلى في العربية والأنثوية القديمة إلى الصوت السامي القديم المماثل للطاء في الفصحى المعاصرة / d / ، ولقد تطور هذا الصوت / d / في اللغات السامية فأخذ أشكالا مختلفة ، فلقد تحول إلى صاد / S / في كل من الأكادية والعبرية ، كما تحول إلى عين / C / أو قاف / q / في الآرامية كما احتفظ بصورته ما بين الأسنانية / d / في العربية الجنوبية القديمة (٦) .

أم الضاد القديمة فلا تتفق مع الضاد الحديثة إلا في أن كليهما صوت مفخم فلها مخرج آخر وهي رخوة (احتكاكية) وهي مجهورة في نظر جمهور اللغويين القدماء ومهموسة في نظر بعضهم كالسكاكي ولا يوجد لها نظير مرقق عند الجميع ، وهي أحيانا قوية وأحيانا ضعيفة كما سنرى ، ويعنى هذا أن القدماء أنفسهم لا يتفقون على وصف محدد للضاد وهم كذلك لا يثبتون على رأى في تحديد مخرجها ، حيث يرى الخليل أنها شجرية أى من مخرج الثلاثة قبلها « الجيم والشين والياء » والشجرة عنده مفرج الفم ، أما سيبويه فيرى أنها « من بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس » ويتابعه في تحديد ذلك المخرج من تلاه من اللغويين (٧) .

ثم يتكلم سيبويه عما سماه الضاد الضعيفة ويصفها بأنها « تتكلف من الجانب الأيمن وأن شئت تكلفها من الجانب الأيسر وهو أخف لأنها من حافة اللسان مطبقة ، لأنك جمعت في الضاد تكلف الأطباق مع إزالته عن موضعه ، وإنما جاز هذا فيها لأنك تحولها من اليسار إلى الموضع الذى في اليمين ، وهي أخف لأنها من حافة اللسان ، وأنها تخالط مخرج غيرها بعد خروجها ، فتستطيل حين تخالط أحروف اللسان فسهل تحويلها إلى الأيسر ، لأنها تصير في حافة اللسان في الأيسر إلى مثل ما كانت في الأيمن (٨) » .

إن كل ما يفهم من وصف سيبويه لمخرج الضاد أنها تمثل صوتاً جانبياً *Iateral* (٩) أما بقية الوصف الطويل الذى سجاه نص سيبويه ، فمن الصعب تصور ما يحنى بدقه وإن كان المرء يكاد يتصور أن سيبويه يصف صوتاً مركباً من صوتى اللام والضاد المعاصرة /Ld/ وأخالى أنشكك في أن تحريفاً قد أصاب هذا النص الذى يزيد محاولة تصور صوت الضاد في القديم تعقيداً .

فما معنى أن يتكلف الناطق أحد أصوات لغته الأم ، وأن يتكلف إن شاء من الجانب الأيمن أو الأيسر وما معنى أن يكون هذا التكلف سبباً في خفة الضاد « وهي أخف لأنها من حافة اللسان » وما معنى أن يخالط صوت مخرج غيره بعد خروجه فيستطيل حتى يخالط أحروف اللسان ؟ وهل تخرج الضاد من غير حافة اللسان كما يقرر سيبويه ؟ أو ليست الحافة

جزءاً فيها ثم ما معنى سهولة تحويلها إلى الأيسر ، وتعليل ذلك بأنها تصير في حافة اللسان في الأيسر إلى مثل ما كانت في الأيمن ، ثم تنسل من الأيسر حتى تتصل بحروف اللسان كما كانت في الأيمن ؟

إن هذا الوصف تتناقض جزئياته وتتنافر ، ونستطيع ونحن راضون أن نفترض أحد افتراضات ثلاثة :

إما أن سيديويه لم يوفق في وصف مخرج الضاد وهذا ما نستبعده ، وإما أن هذا النص لا يمثل بدقة وصف سيديويه للضاد وأن تحريفاً من نوع ما قد أصابه ، وهذا ما لا نستطيع إثباته :

وإما أن سيديويه يصف صوتاً مركباً من صوتين هما ما يشبه اللام والضاد كما ننطقها الآن / Ld / وهذا ما نرجحه .

فالدراسات في اللهجات العربية المعاصرة تثبت كما تثبت إشارات الأقدمين أن تلك الضاد تشبه اللام المفخمة ، ففي اللهجات المعاصرة يرى لاندبرج Landberg أن الضاد ما زالت تتميز عن الظاء في جنوب الجزيرة العربية ، فالضاد هناك تتساوى مع اللام / المفخمة / L / أما الظاء فتماثل الظاء القديمة / d / ويتمثل هذا بالتحديد في لهجة دثينه Datina وتقع إلى الشرق عدن والأمثلة على ذلك Lac = ضاع ، abyal = أبيض ، وما زالت هذه اللهجة محتفظة بالأصوات ما بين الاسنانية الذال والثاء والظاء (١١) . .

ويتفق هذا مع ما يراه برحشتراسر من أن للضاد نطقاً قريباً من نطق اللام عند أهل حضر موت وهو كاللام ، كما أن الأندلسيين كانوا ينطقون الضاد مثل ذلك ولذلك استبدلها الأسبان بالصوت المركب من اللام والذال / Ld / في الكلمات العربية المستعارة من لغتهم مثل كلمة القاضي التي صارت في الأسبانية alcalde (١٢) .

أما في القديم فهناك روايات عن لغوي العرب كتلك الرواية التي ذكرها الزمخشري في الفصل عن أن بعض العرب كانت تقول : الطجع بدلا من اضطجع .

ويرجع برحشتراسر نشأة نطق الضاد / d / عند البدو إلى ذلك النطق القديم ، وذلك بتغيير مخرجها من حافة اللسان إلى طرفه ، كما يرجع نطق الضاد عند أهل المدن (/ d / إلى هذا النطق البدوي الاحتكاكي / d / وذلك باعتماد طرف اللسان على الفك الأعلى بدل تقريبه منه ، فصار الحرف شديداً بعد أن كان رخوا (١٣) .

ويفسر لنا هذا التطور في نطق الضاد من /Ld/ إلى /d/ عند البدو ثم إلى /d/ عند غيرهم التبادل بين صوتي الظاء /d/ والضاد (/d/) الذي تنتشر أمثلة في المعاجم العربية والذي سنورد له بعضاً من كثير من الأمثلة بعد قليل :

وخلاصة ذلك كله أن الضاد القديمة صوت جانبي احتكاكي (رخو) مجهور مطبق لكن هناك رأياً لافتاً للنظر بالنسبة للضاد القديمة نرى إثباته هنا تكملة للموضوع ويتمثل فيما يقرره السكاكي من أن الضاد حرف مهموس (٦٤) وهذا الحكم على خطئه يلفت نظرنا إلى نقطة هامة هي تشابه الضاد مع الظاء في الهمس على ما يرى السكاكي مخالفاً بذلك جمهور اللغويين ، ولعل الفائدة الوحيدة التي يمكن استنتاجها من رأى السكاكي هي أن الصوتين كانا متداخلين في الاستعمال في عصره ، كثيرى التبادل فيما بينهما وإلا فكيف نفهم حكمه عليهما بالذات بالهمس دون بقية الأصوات المجهورة .

ولقد انعكس تداخل استعمال صوتي الظاء والضاد قديماً على اللهجات العربية المعاصرة حيث يبدو تداخلهما واضحاً .

ولم يقتصر هذا التداخل على الاستعمال اللغوي في القديم داخل الكلمات بل امتد إلى أحكام اللغويين القدماء على هذين الصوتين في الوقت الذي يقرر فيه ابن جني بأن الضاد للعرب خاصة (١٥) يقرر القيروز آبادي أن الظاء حرف خاص بلسان العرب (١٦) .

أما في العصر الحاضر فإن الغصحي تميز بين الظاء والضاد بعكس اللهجات المعاصرة في العراق تنطق الضاد مثل الظاء (١٧) كما هو الأمر في نطق البدو .

أما في اللهجات المصرية المعاصرة فإن الظاء /d/ تقلب ضادا (d) أو تقلب إلى النظير المنفخم للزاي /Z/ وهو صوت لثوي احتكاكي مجهور منفخم ، فنحن نسمع dahf ضهر إلى جانب Zalim - ظالم كما تستعمل كلا الطريقتين في mahfaza, mahfada حافظة النقود .

كما أن الضاد (/d/) تقلب أحياناً (/Z/) في مثل Zâbit - ضابط ، الظنابا azzanâyâ (جمع ضني وهو الولد «راجع القاموس» «وفي مثل فايز Fayiz فائض .

أنا حين نتقل بهذه النتيجة إلى المعجم العربي مقبلين صفحاته بسرعة فأنا سنعر على أمثلة كثيرة لكلمات واحدة مستخدمة بالضاد أو الظاء مثل بضر : ذهب دمه بضر أي هدر .

بظر : ذهب دمه بظراً أي هدرأ ١ ص ٣٨٨ .

تمثيل :

قايسة : عاوضة وبادله > ٢ ص ٣٥٦ .

عامله مقايضة > ٢ ص ٤١٢ .

ظباطب الخيل وضباطبها : أضواتها .

الأرظ والأرض : قوائم الدابة .

عظته الحرب كعضته : وفلانا الأرض الزقه بها > ٢ ص

فلان يقرض صاحبه تقرضاً وفلانا يقرض صاحبه تقریطاً : إذا مدحه بحق أو يبطل إلخ

أن هذه الأمثلة وغيرها مما يحتاج إلى استقراء كامل تذكرنا بالأمثلة التالية للتبادل الصوتي بين الطاء والظاء : الجلفاظ : ساد دروز السفن الجدد بالحيوط « الخرق بالتغير كالجلفاظ وقد جلفظها > ٢ ص ٣٦٦ .

الجلفاظ بالكسر : مصطلح السفن وفعله الجلفظة > ٢ ص ٨٤٠ .

الحبظي : الممتلي غيظاً > ٢ ص ٤٠٩ .

الحبظي : كالحبظي : الممتلي غيظاً > ٢ ص ٢٠٩ .

الحضض بضريتين وكصرد : دواء يتخذ من أبوال الأبل أو الحضض . شمطه يشمطه :

خلطه كاشمطه > ٢ ص ٣٨٢ الشمظ : المنع والخلط > ٢ ص ٤١٠ .

لط بالأمر يلط : لزمه > ٢ ص ٣٩٧ .

الظ : اللزوم والإلحاح > ٢ ص ٤١٣ .

أننا لا ينبغي أن ننسى أن الطاء هنا صوت مجهور يساوي ضادنا المعاصرة ولقد ثبت من هذه الأمثلة وغيرها أن الطاء تمثل قاسماً مشتركاً للتبادل مرة مع الطاء ومرة مع الضاد ، ولقد أرجع القدماء بعض هذه التبادلات بوضوح إلى اختلاف اللهجات العربية القديمة ، ولكنهم لم يفسروا لنا بقية التبادلات وهي تمثل الأغلبية في الأمثلة التي عثرنا عليها .

وعلى كل حال فإن الاختلافات اللهجية لا تمثل السبب الوحيد في التبادلات الصوتية ، فواقعنا اللغوي يشير إلى أن المتكلم المنتمى إلى لهجة معينة قد يراوح بين استعمال الضاد والطاء في الكلمة بعينها مثل : حفص الدرس hafad iddars وحفظ الدرس ،

hafaz iddars و محفظة mahfada ومحفظة mahfaza .

القاف :

قصدنا صوت القاف قصداً لأنه يمثل بدقة ووضوح جانبين من الجوانب الثلاثة التي حددناها للنظر في الأصوات العربية في تبادلاتها ، فالقاف تمثل موضوع خلاف بين القدماء والمحدثين حيث لا يتفقون على وضعها ، وهي كذلك صوت غنى بصورة اللهجية في القديم والحديث .

يمثل صوت القاف أحد فونيمات اللغات السامية بكتلتها الشمالية والجنوبية والقاف صوت هوى انفجارى مهموس كما ينطق اليوم في الفصحى المعاصرة من مجيدها .

ويركز الخلاف في وصف القدماء له حول جانب الهمس ، فهم يعتبرونه صوتاً من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى أو من اللهاة شديداً مجهوراً ، والحكم على القاف بالجهر يمثل إجماعاً من اللغويين العرب القدماء .

وتنفي الدراسات الصوتية الدقيقة التي قدمها القدماء عنهم احتمال الخطأ في وصف القاف بالجهر . ولا يبقى الا الاحتمال الآخر وهو أنهم كانوا يصفون صوتاً آخر غير تلك القاف المهموسة ، فأى صوت يمكن أن يكون

لقد تحدث القدماء عن صوت مهموس انفجارى مجهور وهذا يعنى أنهم يتكلمون عن نظير مجهور لقافنا المهموسة وهذا أحد احتمالين أما ثانيهما فهو أن هذا الصوت المهموس الذى وصفه القدماء ممثلاً لفونيم القاف في الفصحى / P / لا يمثل هذا الصوت الذى وصفه القدماء تمثيلاً كاملاً بل يمثل جزءاً منه فالصوت القديم الذى وصفه القدماء ربما كان قافاً مهمزة Glottalisiert / qd / والهمزة من الأصوات المجهورة عند القدماء (١٨) .

فأثر جهرها في وصفهم للقاف بأنها مجهورة ، ودليلنا على ذلك هو أن هذه القاف المهمزة ما زالت تستعمل حتى اليوم في بعض اللهجات العربية المعاصرة مثل لهجة واحة الفرافرة بجمهورية مصر العربية فعندهم q'amh - قمح ، كما يؤكد هذا ما يقرره ابن الجزرى من أن حرف القاف لا يقدر أن يؤتى به ساكناً إلا مع صوت زائد لشدة استعلائه وهذا الصوت عنده هو القلقلة .

ويزيد هذا تأكيداً ما هو ثابت من أن العربية قد حافظت بشدة على ظواهر صوتية موهلة في القدم كما حافظت قائمة فونيماتها على مجمل النظام الفونولوجى للغات السامية في السواكن أو في الحركات (١٩) ويمثل نطق الأصوات المفخمة مهمزة وضعاً سامياً قديماً

كما سنفصل بعد قليل ويعيننا الآن أن نؤكد أن القاف كصوت لهوى انفجارى مهموس تستخدم فى بعض اللهجات ا معاصرة فى العراق وفى مصر فى منطقتى برج مغيزل والبرلس على الساحل الشمالى . (٢٠) .

وربما تفسر لنا هذه القاف الممهزة نطقاً لافتاً للنظر فى العربية المعاصرة والقديمة على حد سواء ونعنى به نطق القاف همزة فى بعض اللهجات العربية القديمة التى لا نعرفها والتى نرجح أنها تستخدم الجيم السامية وهى صوت حنكى أنفجارى مجهور ، وفى لهجة القاهرة المعاصرة وفى لهجات المدن العربية الواقعة على ساحل البحر الأبيض المتوسط ما بين حلب وفاس فى المغرب العربى وفى لهجة مالطة .

فلربما استثقل سكان هذه المناطق نطق ذلك الصوت المركب من صوتى القاف والهمزة فأسقطوا نصفه الأول القاف / q / وأكتفوا بنصفه الآخر وهو الهمزة / ء / .

على أن هذا السلوك فى الاكتفاء بالهمزة بدلا من القاف أو بالدقة بدلا من ذلك الصوت المركب من القاف والهمزة فى بعض اللهجات القديمة والحديثة على حد سواء لا يبنى أن عملية الاكتفاء قد أخذت الوضع المقابل وهو الاكتفاء بالجزء الأول من هذا الصوت وهو القاف وإسقاط الجزء الثانى وهو الهمزة ، وهذا ما حدث فى الفصحى المعاصرة وفى اللهجات المعاصرة التى ما زالت تستخدم القاف / q / .

ومما يؤكد ما نذهب إليه من استئفال المتكلمين لصوت القاف الممهزة أو ذلك الصوت المركب من قاف وهمزة معا / qء / أن (القاموس المحيط) على ضخامته لا يحتوى بعد استقرارنا له بدقة إلا على أربع كلمات فقط تمثل التوالى الصوتى : القاف فاء للكلمة والهمزة عينا لها وأى صوت آخر يمثل اللام وهذه الكلمات الأربعة مشكوك فى اثنتين منها هما :

القأقاة أصوات غربان العراق .

القأش القلش لغة عراقية .

فالكلمتان كما يقرر صاحب القاموس لهجة للعراق ولا تنتميان إلى اللغة المشتركة .

أما الكلمتان الأخريان فهما :

قأب الطعام كمنع : أكله والماء شربه .

قأى كسعى : أقر لخصم بحق .

و يعطينا هذا الحق فى أن نختلف مع من يرى فى القاف التى تنطق همزة أنها على ما يبدو حتى الآن تطور محل خاص (٢١) ، فاستعمال الهمزة فى مكان القاف لا يقتصر محليا

على بعض لهجات مصر بل يوجد له أكثر من موضع في الدل العربية ، هذا فضلاً عن وجودها في بعض اللهجات العربية القديمة كما سترهن الأمثلة التي سنوردها فيما بعد .

وليس تبسيط نطق الصوت المركب بالاكْتفاء بأحد مكونيه عربياً في السلوك اللغوي ، فقد حدث هذا بالنسبة لصوت الجيم لمركب من الدال والجيم / dZ / فاستعملت الدال في بعض اللهجات المعاصرة كلهجة مدينة جرجا ، واستعملت الجيم ذلك الصوت الاحتكاكي المجهور / Z / في اللهجات الشائعة في الشام .

كما أن اللغات السامية توقعنا على سلوك لغوي مماثل وإن اتصل ببعض الأصوات الأخرى ، فالأصوات المطبقة في الاثيوبية أصوات مهمزة (٢٢) / Z' / ، / d' / ويمثل هذا وضعاً سامياً قديماً سقط من كثير من اللغات السامية ، وتدلنا اللهجات العربية المعاصرة على وجود هذا النطق حتى اليوم في المنطقة الواقعة جنوبي أبي تيج بمحافظة أسبوط المصرية (٢٣) .

فهذا التهميز في نطق الأصوات المفخمة أو المستعملية بتعبير القدماء من الأمور المألوفة قديماً وحديثاً .

بل أنه يمثل أقدم نطق للأصوات المفخمة في اللغات السامية ، أما النطق الأكثر بساطة لهذا الأصوات فيتمثل فيما يطلق عليه تفخيمها .

وليس معنى ذلك أن هذه القاف المهمزة كانت تمثل النطق الوحيد عند العرب القدماء ، فقد كان عندهم أيضاً صوت الجاف / g / وهو النظير المجهور للقاف الفصحى المعاصرة والذي ما زال مستخدماً في اللهجات المعاصرة عند البدو ، كما كانت عندهم أوجه أخرى لنطق القاف سنوردها بعد قليل .

وينبغي أن يكون واضحاً أن أهمال النظر في هذه الأوجه المختلفة لنطق القاف عند القدماء ومحاولة وضع وصفهم للقاف على أنه يمثل الصورة الوحيدة للقاف عندهم يوقع في وهم كبير ، وتتحدد سمات هذا الوهم إذا سلمنا بحقيقة أن العربية القديمة كانت لها لهجاتها المختلفة والموثوق بها كذلك من علماء العربية إلى درجة الاعتداد بها في قراءة القرآن الكريم ، فقد روى ابن جنى عن الفراء أن قريشا تقول « كشطت » وقيس وتميم تقول « قشطت » ثم يعلق ابن جنى تعليقاً عبقرياً بقوله « وليست القاف في هذا بدلا من الكاف لأنهما لغتان لأقوام مختلفين » (٢٤) كما قرئت الآية الكريمة « وأما اليم فلا تكهر » بالكاف (٢٥) .

فإذا سلمنا بأن للقاف أوجها نطقية مختلفة ومعتداً بها وهو أمر لا معدى عنه لأنها تمثل

لهجات عربية قديمة لا يشك أحد في فصاحتها فأبنا نستطيع الانتقال من القاف كوحدة صوتية إلى الكلمة التي تمثل الوحدة الأكبر من الصوت والمقطع .

ونود أن نلفت النظر إلى أننا حين نستخدم كلمة القاف لانعني بها قيمة صوتية واحدة ، بل نعني شتى الصور المختلفة لفونيم القاف في اللهجات العربية القديمة والحديثة وهي كما اتضح لنا حتى الآن :-

١ - صورتها كصوت لهوى مهمز انفجاري مجهور /q/ ونعني بها القاف المهمزة التي اعتبر القدماء همزها جهازاً على أساس عدهم للهمزة صوتاً مجهوراً .

٢ - صورتها كصوت لهوى انفجاري مجهور /g/ ونعني بها النظير المجهور للقاف المعاصرة وهو أساس صوت الجاف /g/ في بعض اللهجات العربية المعاصرة والقديمة للبدو ، ويراه برجشتراسرو فشر مماثلاً لصوت القاف ، كما وصفها القدماء (٢٦)

ويحتوي المعجم العربي على أمثلة لهذه القاف مكتوبة بالميم ومن أمثلتها الفصلج : الغصلفة في اللحم إذا لم يملح ولم ينضج ج ١ ص ٢٠٩ ، ج ٣ ص ٣٨١ .

الجريز بالضم : الخبيث معرب والمصدر الجزيرة ج ٢ ص ٧٤ :

قربز بالضم لجربز ج ٣ ص ١٩٣ نشوق ولشوغ (ملاحظة وردت هذه الكلمة بالعين نشوع بنفس المعنى هذا قياس خاطئ من القدماء في الاستخدامات حيث تخيلوا العين هنا أصالية فاحاوا محلها العين كما هو الشأن في تلك اللهجات التي لم تكن تحتوي على صوت العين شأن بعض اللغات السامية كالعبرية والآرامية)

ما تلمج : ما تلمق ج ٣ ص ٢٩٠ .

الجلسة : القصة ج ٢ ص ٣٢٥ : تقصيص الدار : تجصصها ...

شج البحر : شقه ج ١ ص ٢٠٢ : اللقلقة واللحلبة .

ونكتفي بهذا القدر من الأمثلة التي جمعنا من أمثالها الكثير .

ونود أن نشير إلى أن ينبغي نطق الميم في مثل هذه الكلمات التي توجد لها نظائر بالقاف نطقاً انفجارياً وليس مركباً ، أي نطقها بالجاف ، فنطقها بالميم المركبة أو ما نطلق عليها الميم الفصحى خطأ فهي جاف أو صورة لهجية للقاف وليست ممثلة لفونيم الميم .

٣ — صورتها كصوت لهوى احتكاكى مجهور / g / وهو صوت يشبه صوت الغين كما نطقه اليوم ويوجد نطق القاف هكذا في بعض اللهجات العربية المعاصرة في السودان وفي بعض مناطق مصر ، حيث توجد له بقايا في بعض أجزاء من محافظتي الجيزة والمنوفية . في بعض الأفعال مثل يغدر — Yigdar أى : يقدر (٢٧) .

ويحتوى المعجم العربى كذلك على كلمات محتوية على هذا الصوت ومكتوبة بالغين مرة وبالقاف مرة ومن أمثلتها : —

بزغت الشمس / بزقت > ٣ ص ٢٢٠ .

في كلامه لغافة : عجمة ولخلة > ٣ ص ١١٦ .

اللقلة : كل صوت في اضطراب ، اللجلة والتردد في الكلام > ١ ص ١١٢ .

نشوق ونشوغ : السعوط (في مكانين مختلفين في القاموس) .

٤ — صورتها كصوت حنكى قصي انفجارى مهموس أى كصوت الكاف المعاصرة / K / وتوجد لهذا النطق بقايا في اللهجات المعاصرة الواقعة في قلب فلسطين ومالطة (٢٨) وقد أحت هذه اللهجات الصوت الثوى الحنكى المركب المهموس / ts / محل الكاف يقولون Tsalb بدلا من كلب كما كان هذا النطق تقريبا موجوداً في الأندلس العربية ، حيث توجد بقايا كلمات عربية في الأسبانية والبرتغالية بهذا الصوت مثل Yiamisa قميص للرجال والنساء .

ويحتوى المعجم العربى على كلمات كثيرة للغاية ترد مرتين مرة بالقاف ومرة بالكاف ومن أمثلتها : —

قاتعه وكاتعه : قاتله .

الوقواق : الجبان > ٣ ص ٣٠٠ الكواك : الجبان > ٣ ص ٣٣٤ .

القشط : الكشط > ٢ ص ١٩٥ .

الدك : الدق والهدم > ٣ ص ٣١٠ .

اللقلة : كل صوت في اضطراب والتقلقل : التقلقل > ٣ ص ٢٩٠

اللك : الخلط واللحم ، وهو لكىك في كلامه أخطأ > ٣ ص ٣٢٨ .

٥ — صورتها كصوت حنكى قصي احتكاكى مهموس / x / ويستعمل هذا النطق في بعض مناطق محافظة الجيزة وأجزاء مختلفة من مصر الوسطى في بعض الكلمات

مثل dilwaxt - الآن التي تسمع كافا في بعض مناطق مصر العليا dilwaklt

ويحتوى المعجم العربى على كلمات تحتوى على هذا الصوت مثل :

اللققة : كل صوت في اضطراب ج ١ ص ١١٢ .

لخ في كلامه : جاء به معجماً ملتبساً > ٢ ص ٢٧٨ .

كما وردت نفس المادة بالعين : لغلة : عجمة ولخلخلة كما وردت أيضاً بالجيم وينبغى أن تنطق نطقاً أنفجارياً لجلجلة Laglaga وليس نطقاً أحتكاً كيا كما سبق :

تبخلص لحمه : عظم > ٢ ص ٣٠٦ والبلخص كجعفر الغليظ .

وذلك في مقابل بلاز الرجل : أكل حتى شيع أو الشيطان أو الغلام الغليظ > ٢ ص ١٧٣ (وسر صناعة الأعراب > ١ ص ١٢٢) وإنما يتم التبادل بين الهمزة والقاف وتؤيد اللهجات المعاصرة ذلك ، ففي لهجة القاهرة .

بالظ وفي لهجات الصعيد بجلظ baglaz أى غلظ وصار سميناً.

٦ - صورتها كصوت حنجري انفجارى مجهور / ء / وهو صوت الهمزة ولهذا الصوت كما سبق وجود في اللهجات العربية القديمة المثبتة في القاموس ، كما يوجد في كثير من اللهجات العربية المعاصرة كلهجة القاهرة وكثير من أجزاء الدلتا وكثير من المدن العربية الممتدة على ساحل البحر الأبيض المتوسط :

ويورد القاموس كذلك كلمات تحتوى على القاف مرة وعلى الهمزة مرة أخرى ومن أمثلتها : -

الوابة : النقرة في الصخرة تمسك الماء > ١ ص ١٤٠ (+ ٨٩) .

الوقب : النقرة في الصخرة يجتمع فيها الماء > ٢ ص ١٤٢ .

الأفز : الوثب كأنه مقلوب عن الوقز > ٢ ص ١٧١ .

قفز : وثب > ٢ ص ١٩٤ .

زنأ عليه : ضيق > ١ ص ١٨١ .

زثق على عياله > ٣ ص ٢٥١ .

فرس أبوص : نشيط سباق > ٢ ص ٣٠٥ .

فرس قبوص : خفيف نشيط > ٢ ص ٣٢٣ .

هاأ الرجل : قهقهه (يراعى القلب المكاني . > ١ ص ٣٤ الخ .

ولا يقتصر لإيراد هذه الصور اللهجية على القاف والجيم والكاف بل أنه يشمل كثيراً من الأصوات ليس المجال بكاف لإيرادها بالتفصيل .

نود أن ننقل إلى الجانب الثالث من جوانب النظرة إلى الأصوات ، ونعنى به كما سبق القول : وضع الأصوات العربية مقارنة بالأصوات السامية ، وتشير المقارنة السريعة إلى أن العربية قد حافظت على كثير من الأصوات التي أسقطتها اللغات السامية الأخرى نتيجة للتطور الذي يأخذ عادة مساراً معيناً ، ونعنى بذلك أن كثيراً من اللهجات العربية المنطوقة حتى الآن في تطور نظامها الصوتي قد سارت في نفس الطريق الذي سلكته اللغات السامية القديمة ، ويلفت هذا النظر إلى احتمال وجود استخدامات صوتية مماثلة في بعض اللهجات العربية القديمة ، وهذا ما قابلناه ونحن نقلب صفحات المعجم العربي .

فالأجدية السامية تشير إلى وجود اثنين وعشرين حرفاً كتابياً تقوم بتمثيل عدد مساو من الأصوات للوهلة الأولى ، وأن كانت الحقيقة تشير إلى إمكانية تمثيل هذه الحروف لعدد أكبر من الأصوات .

والأصوات التي لا نجدها بصفة أساسية في العبرية والسريانية هي الخاء والغين والظاء والذال والطاء والضاد .

كما أن العبرية والسريانية من ناحية مقابلة تخنوبان على بعض الأصوات التي تدل ظواهر الأمور على عدم وجودها في العربية الفصحى القديمة ، كصوت الـ V وهو صوت شفوي أسناني احتكاكي مجهور ، وكصوت الـ /p/ وهو صوت شفوي ثنائي انفجاري مهموس ويستعمل هذان الصوتان في اللغتين المذكورتين في مواقع صوتية معينة كبديلين لكل من الباء والفاء وهما نظيراهما من حيث الهمس والجهر على التوالي : —

ويعنى هذا أنه قد حدث تعديل لقائمة الفونيمات في هاتين اللغتين وفي اللهجات العربية التي سارت في نفس الطريق ، ويتمثل هذا التعديل في نقاط كثيرة سنكتفي منها بما يأتي :

قامت الخاء بتمثيل صوت الخاء بالإضافة إلى وظيفتها الأساسية ولقد تم هذا في بعض اللهجات العربية المعاصرة كلهجة مالطة ففيها hps = خبز hargitta = أى أخرجتها hallieni خلني (٢٩) .

كما تم في القديم مثل ذلك كما تدل الأمثلة :
منفوحا — منفوخا .

يتحون مالى ويتخونه : ينقصه من أطرافه .

المحسول : المخسول : المزدول .

طحرور : طخرور : السحابة (٣٠)

* كما قامت العين بتمثيل صوت الغين بالإضافة إلى وظيفتها الأساسية في العبرية والآرامية ولهجة مالطة المعاصرة (٣١) وقد حدثت استعمالات صوتية مماثلة في القديم كما تدل الأمثلة :

ععب وعغب : صنم معروف لفضاة ومن داناها .

لغن لغة في لعل ولغل .

أسد عسرب : غليظ شديد ويقال غثرب مثل عثرب .

« شغفها حبا » وشغفها وهو عشق مع حرقه .

وعلى الباحث أن يتسلح بالحذر الشديد وهو يتتبع تلك الأزواج من الكلمات التي تستعمل فيها العين والغين لأن بعضها لا يمكن تخريجه على أن العين لغة في الغين كما في الأمثلة المذكورة ، بل يخرج على أوجه أخرى كالمثال :
النشوغ : النشوع : السعوط (٣٢) .

ولقد أودد السيوطى هذا المثل ضمن الأمثلة السابقة لكننا لا نقبل ببساطة أن تكون العين لغة في الغين ، حيث تستعمل هذه الكلمة بالقاف : نشوق .

ولقد سبق القول بأن القف تنطق في بعض اللهجات القديمة المعتمدة في القاموس نطقاً مشابهاً للغين ، فلعلها أنتقلت إلى تلك اللهجات الأخرى التي تحمل العين محل الغين ، فاعتقد خطأ أن الغين في تلك الكلمة أصية فاستبدلت بلعين . أو لعل هذا مما يدخل في باب التصحيف .

فإبدال الغين الأصلية عينا من الأمور الطبيعية ، أما إبدال ذلك الصوت المشابه للغين والممثل لإحدى الصور الالهجية لنطق للقاف عينا فهذا ما نتوقف عن قبوله .

إن المشكلة الصوتية كما أثبت استقصاؤنا لكافة الأصوات العربية متشعبة ومتشابهة وتحتاج إلى نظرة جادة وجديدة لانعكاسها الحاد على قائمة المفردات فى العربية ، ولقد أمكن بنظرة سريعة إلى القاموس المحيط تجميع مئات الكلمات التى ترد أكثر من مرة فى أكثر من موضع فى القاموس وهى فى الحقيقة — أعنى الكلمات المكررة — لا تمثل إلا شكلا واحداً فقط ينتمى إلى اللغة المشتركة أما بقية الأشكال فإنها تمثل استخدامات لهجية قديمة لا تقدم كبير فائدة بالنسبة للمفردات وإن كانت جملة الفوائد للدراسات الصوتية والاشتقاقية التاريخية . . .

إن حب اللغويين القدماء الشديد للغة هو الذى دفعهم إلى هذا الخلط حين أصيبوا بحميا جمع المفردات فأثبتوا فى المعجم ماينبغى إثباته ، وأثبتوا أيضاً ما ينبغى إسقاطه من هذا المعجم .

ويفتح هذا الباب واسعاً أمام فكرة إعادة النظر فى المادة اللغوية التى يقدمها المعجم العربى بهدف إعادة تصنيفها وتجميع كل ما يتصل منها بالأخرى أو بالأخريات صوتياً فى مكان واحد .

ولا يعنى هذا بحال من الأحوال أننا ندعو إلى إهمال هذه المواد ، فإن احترامنا للغة واجلالنا لجهود أسلافنا العظام يأبى علينا ذلك ، بل هو الذى يدعونا إلى إعادة النظر فيما قدموه لتعيد تقديمه نحن بطريقة منهجية كان القدماء يفتقدونها فالقدماء قد خلطوا بين الفصحى ولهجاتها فجمعوا مفردات تنتمى إلى كلا المستويين وقدموها لنا ، ولم يشيروا إلى الاستخدامات الالهجية إلا فى أضيق الحدود .

ولكن يكون ما نريد واضحاً من تنقية المعجم العربى من تلك الشوائب الالهجية التى تتخمه وتثقله بدون داع إلى ذلك ، فإننا نرى أن تقوم هيئة معينة بالنظر فى المواد اللغوية التى يقدمها المعجم العربى ولتكن بداية العمل النظر فى تلك المواد المحتوية على الأصوات العميقة الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء ومعها القاف بالإضافة إلى تلك المواد المحتوية على أصوات الجيم والكاف وذلك بمقارنتها معاً ثم باعادة تصنيفها على أساس جديد هو وضع المواد التى تمثل الاختلافات الصوتية بينها أختلافات لهجية قديمة فى مكان واحد بدلا من توزيعها على الأماكن المختلفة فى المعجم باختلاف أصواتها تبعاً لاختلاف اللهجات ، مع التنويه فى مقدمة المعجم على ذلك بوضوح شديد ، يتضمن بالنسبة للقاف مثلاً أن بعض المواد التى تدخل أى القاف فى بنائها يمكن أن تستعمل بالكاف أو بالغين أو بالحاء أو بالهمزة أو بالجاف g

بهذا نحتفظ بالمعجم كما هو بعد أن نكون قد وضعنا كل شيء في وضعه الصحيح وفي هذه الحالة لن يلتبس الأمر على أحد فيزعم أن عدد الكلمات كبير أو أنه أكبر مما ينبغي ، فعدد الكلمات محدود ولكنه تضخم بالاستخدامات اللهجية الكثيرة لها .

على أنه يمكن أيضاً استبعاد الاستخدامات اللهجية التي لا تقدم فائدة للقارىء من المعجم والاكتفاء بتلك الاستخدامات التي تنتمي إلى اللغة المشتركة فقط . وبهذا يمكن توفير الوقت والجهد والالتباس فما فائدة أن ترد كلمة نشوق ثلاث مرات في المعجم مرة بالقاف ومرة بالغين ومرة بالعين وما فائدة أن ترد الكلمة مرتين مرة بالقاف ومرة بالهمزة ، وما فائدة أن ترد الكلمة ثلاث مرات ، مرة بالصاد ومرة بالسين ومرة بالزاي وما هي بزاى في الحقيقة وإنما هي الظاء Z المستخدمة في العامية المصرية المعاصرة . . ؟ (٣٣)

الهوامش :

- (١) انظر عن الترادف دور الكلمة في اللغة : ستيفن اولمانى ترجمة استاذنا الدكتور كمال بشر ص ١٠٥ وما بعدها .
- (٢) انظر الكتاب ص ٤ ص ٤٣٣ - ص ٤٣٤ ، سر صناعة الأعراب ج ١ ص ٦٩ - ص ٧٠ ، مفتاح العلوم ص ٥٠٤ ، النشر في القراءات العشر ج ١ ص ٢٠٠ - ص ٢٠٢ .
- (٣) السابق .
- (٤) الكتاب ج ٤ ص ٤٣٢ ، سر صناعة الأعراب ج ١ ص ٥٣ .
- (٥) التطور النحوى ص ٩ .
- (٦) Bergstraesser : Einfuehrung in die semitischen Sprachen S, 4, 97
- (٧) انظر الكتاب ج ٤ ص ٤٣٣ سر صناعة الأعراب ج ١ ص ٥٢ ، مفتاح العلوم ص ٥ ، النشر في القراءات العشر ج ١ ص ٢٠٠ .
- (٨) الكتاب ج ٤ ص ٤٣٢ - ص ٤٣٣ .
- (٩) Fischer, Jastrow Handbuch der arabischen Dialekten 5, 17,
- (١٠) حاول أستاذنا المرحوم الدكتور إبراهيم أنيس تقويم ما يريده القدماء في وصف الضاد للأذهان ولكنى لم أفهم بدقة مقصده وهو يتكلم عن نوعين من الانفجار أحدهما بطى* والآخر سريع ، بحيث يحس المرء بمرحلة أنتقال بين الصوتين الساكن والحركة في الأول ولا يحس بهذا الانتقال في الثانى كما لم أفهم وصفة للضاد القديمة بأنها أقل شدة من ضادنا المعاصرة ، فلقد وصف القدماء صوت الضاد بأنه رخو (احتكاكى) فلا معنى إذن للقلة أو للكثرة لأنها بالفعل صوت غير شديد حسب ما قرر القدماء .

انظر الأصوات اللغوية للدكتور أنيس ص ٤٩-ص ٥٠ ، وانظر في تقدير عدم وضوح وصف سيويو للضاد (اللغة العربية مبناها ومعناها ص ٦٠ للدكتور تمام حسان .

(١١) السابق في رقم ٩ .

(١٢) التطور النحوي للغة العربية ص ١٠ .

(١٣) السابق ص ١١ ،

Handbuch der arabischen Dialekten 3, 17

(١٤) مفتاح العلوم ص ٤ .

(١٥) سر صناعة الأعراب ص ١ ص ٢٢٢ .

(١٦) انظر القاموس المحيط ص ٤ ص ٣٦١ .

(١٧) انظر العين ص ١ ص ٦٥ الا من .

(١٨) انظر الكتاب ص ٤ ص .

Bergstraesser. Einfuehrung in der semitischen Sprachen S. 734, (١٩)

Fischer, Jaslrow. Handbuch der arabischen Dialekten. S. 23, 39.

Brockelmann. Arabisch. In III Band. Semitistik. S. 235,

Fischer und Jastrow. Handbuch. 23, 39. (٢٠)

(٢١) في الأصوات العربية د . كمال بشر ص ٧٩ .

Bergstraesser Einfuehrung in die semitischen Sprachen S. 96, 97 (٢٢)

Fischer und Jastrow Handuch S. 209 (٢٣)

(٢٤) سر صناعة الأعراب ص ١ ص ٢٧٨ المزهر للسيوطي ص ١ ص ٥٦٤ .

(٢٥) أنظر : المزهر ص ١ ص ٥٦٤ .

(٢٥) أنظر : المزهر ص ١ ص ٥٦٤ .

Fischer und Jastrow. Handbnch S. 52, Bergstraesser. (٢٦)

Einfuehrung in die semitischen Sprachen S. 135.

وكذلك العربية نحو بناء للغوى جديد للأب فليش اليسوعي ، ترجمة الدكتور عبد الصبور شاهين ص ٤٠

وفود هنا أن نسجيل ما لاحظته فون سون Von Soden من أن اللغة الآشورية تنتشر فيها هذه القاف المجهورة أو الجاف وتعليله لذلك بأن نطق القاف السامية المهموسة /g/ قد تحول إلى نطقها مجهورة بتأثير تحول منطقة ما بين النهرين من أستعمال اللغة السومرية وهي لغة غير سامية إلى استعمال اللغة الآشورية السامية ، بعد أن قهرت الآشورية السومرية وحلت محلها في هذه البقاع ويشير فون سون هنا إلى نظرية الطبقات اللغوية المترابطة ثم يقرر

أن هذا التحول في النطق قد انتقل إلى مجال الكتابة فكتب صوت الجاف / g / بالرمز الكتابي للجيم .

وتلبيل فون سودن إحلال / g / محل القاف المهموس / q / في الآشورية بتأثير الطبقات اللغوية المترابطة غير دقيق ، حيث يشهد واقع اللهجات العربية القديمة التي لم تتعرض للاحتكاك بلغات أخرى غير سامية بوجود صوت الجاف هذا ، ويعني ذلك أن صوت الجاف يمثل صورة سامية قديمة من صور القاف المهموسة أما كتابة القاف أو الجاف في الدومرية بالجيم فيعود إلى استخدام الآشوريين للخط السومري الذي كان لا يحتوي على رمز كتابي لصوت القاف المهموسة / q / فاستعملت الإمكانيات المتاحة فيه لكتابة اللغة السامية الوافدة ، وهذا بعينه ما حدث في كتابة صوت الجاف برمز الحيم في بعض الكلمات العربية كالمذكورة في أمثلتنا لتلك الحالة . انظر ما قال فون سودن . Akkadisch في

Linguistica Semitica Present E Futuro

Universita di Roma 4. S. 37

وانظر عن استخدام الآشوريين للخط السومري :

Bergsraeser -- Einfuehrung in die Semitistchen

SPRachen S. 20

(٢٧) انظر : الأصوات اللغوية للدكتور أبراهيم ص ٦٧ - ص ٦٨ .

Bergstraesser Einfuehrung S. 179. (٢٨)

(٢٩) انظر السابق S. 158 — 180, S. 1779

(٣٠) انظر : سر صناعة الأعراب ١ ص ١٩٠ المزهر ١ ص ٥٤٢ - ص ٥٤٣

Einfuehrung . S. 37, S. 158 (٣١)

(٣٢) لمزيد من الأمثلة : انظر : المزهر ١ ص ٥٥٢ - ص ٥٥٣ ، سر صناعة الأعراب ١ ص ٢٤٧ .

(٣٣) ملاحظة :

تحيل كافة أرقام مراجع الأمثلة المثبتة إلى جوارها إلى القاموس المحيط الذي اعتمدنا عليه هذا البحث بصفة رئيسية .